من تراب الطريق! (٢٣٠)

النفخة الكدابة وصناعة النجوم ! (*)

لا يمكن لعاقل أن يمارى فى أهمية وأثر الميديا الإعلامية فى زماننا، ولا أن ينازع فى أهمية وأثر الصحافة، ولكنى مع احترامى لأثرهما البالغ، لم ألاحظ أن الإعلام مهما اشتد عرضا وطولا وعمقا - نجح فى صناعة هرم أو هدم هرم !

لعلّ هذه الحقيقة هى التى دعت الأستاذ هيكل - وهو صحفى وإعلامى قدير حتى النخاع، ألاّ يبالى بالرد على ما يكتب ضده مهما اشتد أو غالط أو تجاوز أو أسفّ .. وأثبتت الأيام صدق فراسة الرجل، فلا علا من تطاول عليه، ولا هو فقد مكانته وبريقه الدائم المتزايد .. لا بحكم ما يكتب عن اقتداره، وإنما بحكم ما يصدر عنه كتابة أو شفاهة من تحليلات وآراء تنم عن إحاطة لافتة ومعرفة عريضة وتعمق ملحوظ وأستاذية متبدية بلا اصطناع ..

هذا الكلام قديم، جدده الآن ما ألاحظه من رغبة محمومة لدى البعض فى صناعة نجم بكثرة النشر والبث عنه، والتضخيم المصطنع الذى لا يخطئ المتلقى أنه لا يستند إلى قاعدة موضوعية فى معدن أو تاريخ المراد نفخه والإلحاح بصناعة نجومية له يكذبها واقع معروف للمتابعين، ومسالك بعضها افتضح وتلقاه المتلقون فى أوانه، وبعضها أدانته أحكام قضائية نهائية باتة فى جرائم جنائية بحتة هى مهما كانت دوافع أو أغراض تحريكها ــ تشهد بأن السلوك غير قويم، وأن ما كان قد ظهر من

(*) المال ٢٠٠٩/٣/٢٣

سلوكيات فى بعض الممارسات السابقة، ينم عن جنوح إلى مخالفة الشرعية واستيسار الخروج عن حدود القانون والتردى فى محارمه !. ومن المدهش الذى لا يكترث به المروجون أنه لا يوجد ممول ظاهر (!) لهذا الإلحاح الإعلامى فى النشر والبث للتضخيم واصطناع النجومية الخاوية من المضمون !

وفى المقابل، ترى إلحاحاً على قذف بعض الناجحين أو المتميزين أو القامات بالأحجار والافتراءات . تدهش حقيقة حين تتابع نغمة الشماتة التى تنضح فى ممارسات البعض لأول بادرة تراجع للنادى الأهلى الذى لا يستطيع مغالط أن ينازع فى أنه حقق لنفسه ولمصر (٢٠) بطولة فى الثمانى سنوات الأخيرة وصار بطل القرن وأفريقيا بلا منازع، ولكن هذه الصفحات بدلا من أن تشفع له أو للاعبيه فى هزيمة واردة فى الرياضة، أو تعادل أو تراجع فى الأداء فى مباراة - ينشط الشامتون فى قذف النادى وإدارته ولاعبيه بالأحجار، ودعك الآن من المدير الفنى البرتغالى !، ورمى اللاعبين بأنهم شاخوا ويتعين التخلص منهم كخيل الحكومة، مع أنهم يشكلون أكثر من نصف المنتخب الوطنى، ولا يتعظ الشامتون من أنه لا تكاد تطوى أقلام أو ألسنة الشماتة، إلاّ ويفجؤهم هؤلاء اللاعبون الشائخون بانتصارات باهرة محلية وأفريقية !

أما حكاية المدير الفنى البرتغالى، فهى أظهر فى فضح عقدة الضيق بالنجاح والناجحين ! والتطاول والتجنى على كل من يحترم نفسه وعمله .. لن تستطيع أن تجد مبرراً تقبله العقول للأسنة المشرعة على هذا المدرب الناجح القدير .. تخلط السهام الطائشة بين الاعتداد بالنفس والعلم، وبين التكبر .. ويخلط المتطاولون خلطا جهولا فيما يشنونه على الرجل من ذرائع أنه لا يشرك الأشبال، مع أنه ليس المسئول عنهم فى ناديه، ومع أن دنيا الاحتراف التى سادت العالم لا تفسح مجالاً إلاّ للأكفأ اليوم حتى إن شاخ واعتزل غدا، فالتفريخ والإعداد والتأهيل شىء، والتوظيف فى المباريات التنافسية الجارية ونتائجها المطلوبة شىء آخر . لا يمكن

لموازنة عاقلة أن تقدم فى سبيل التفريخ لاعبا ناشئا لمباراة وتترك الأكفأ الأقدر حتى وإن بلغ اليوم أربعين عاما وسوف تنتهى حياته فى الملاعب باكرا أو بعد باكر . منافسة المباريات الجارية ونتائجها لا تتسع لهذا الهذر، ولا لتعالم كل من هب ودب ولعله لم يلعب فى حياته كرة شراب أو أى رياضة، ليحل نفسه محل المدير الفنى الخبير ليراجعه لماذا لعب فلان ولم يلعب فلان .. متعاميا عن أن عينه غير عين الخبير، ومتجاهلاً أنه حتى لو امتلك الخبرة - لا تتوافر له معلومات "أحوال" و "داخل" الفريق، ولا يعرف مقاليد سياسة الدفع والحجب لامتلاك زمام نجوم لتحقيق النظام وسلامة مسيرة الفريق .

ما فات محض أمثلة تكشف عن عقد تحتاج إلى تحليل نفسى وإلى محللين ومعالجين نفسيين، وتورى فى الوقت نفسه بأن من مخاطر ومحاذير اعتداد الميديا الإعلامية بما تملكه من مساحات وتأثير، أن تتصور مغرورة أنها تملك بناء أو هدم الأهرامات . فقيمة الهرم فيه لا فيما يضفيه عليه الاصطناع، أو ترمى المعاول الطائشة إلى النيل منه . تذكرت هذا وأنا أسترجع آبدة العقاد : " قيمتك فى نفسك، وبواعثك أحرى بالعناية من غاياتك " !